قال المصنف رحمه الله:

«وقد دل على هذا: السَّمع والعقل والفطرة.

أمَّا السَّمع: فمنه قوله تعالى: {لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[النحل:60]، والمَثل الأعلى: هو الوصف الأعلى».

الشرح

دليل السمع: جاء في القرآن العظيم آيات كثيرة تدل على أن الله تعالى موصوف بصفات الكمال؛ منها: قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى}، و(الأعلى): صيغة أفعل التَّفضيل، أي: أعلى من غيره(1).

ومعناها كما قال القرطبي: «أي: الوصف الأعلى»(2)، وقال ابن كثير: «أي: الكمال المطلق من كل وجه»(3)، وقال ابن سعدي: «{وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} وهو كل صفة كمال، وكل كمال في الوجود فالله أحق به من غير أن يستلزم ذلك نقصًا بوجه»(4).

لذا قال الإمام ابن القيم: «المَثل الأعلى يتضمن ثبوت الصفات العليا لله سبحانه، ووجودها العِلمي، والخبر عنها، وذكرها، وعبادة الرب سبحانه بها...»(5).

---

(1) «الصواعق المرسلة» (3/ 1030).

(2) «تفسير القرطبي» (10/ 119).

(3) «تفسير ابن كثير» (2/ 573).

(4) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (4/ 104).

(5) «الصواعق المرسلة» (3/ 1034) بتصرف.

فالله تعالى وصف نفسه بأنَّ له المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلَّما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان بها أكمل وأعلى من غيره.

ولما كانت صفات الرب سبحانه وتعالى أكثر وأكمل-كان له المثل الأعلى، وكان أحق به مَن كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان؛ لأنهما إن تكافآ من كل وجه لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مِثل أو نظير، وهذا برهان قاطع على استحالة التمثيل والتشبيه؛ فتأمله فإنَّه في غاية الظهور والقوة»[6].

[6] «الصواعق المرسلة» (3/ 1032)، و«شرح الطحاوية» (ص 144).